وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآنية
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

هدايات القرآن وأثرها في بناء القيم الاجتماعية

اسم الباحث/ـة

د/ مسعودة علي علواش

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

أولاً: القضية المحورية للبحث:

إن من هدايات القرآن الكريم ومقاصده رعاية العلاقات الاجتماعية ببناء شبكة علاقات متينة لتحقيق العمران البشري **وفق محورين لعرض نوعين** من القيم: قيم اجتماعية تأسيسية لبناء التواصل الاجتماعي، وقيم اجتماعية حامية للفضية ومن خدش الحياء العام للمجتمع

وقيم اجتماعية تخدم محور التواصل الاجتماعي: كقيم التعاون والتكافل وصورها الاجتماعية في رعاية حاجة الفقير وحماية اليتيم وغيرها من الفئات التي تناولتها هدايات القران.

ثانياً: الأهداف: من أهم الأهداف التي تتغياها هذه الورقة ما يلي:

-**أهداف معرفية:** وذلك بالتأسيس والتأصيل للقيم الاجتماعية من خلال هدي القرآن وتوجيهه وإبراز أهميتها في تحقيق الشهود الحضاري للأمة الإسلامية.

-**أهداف عملية:** وهو تقريب نموذج القيم الأخلاقية لبناء شبكة علاقات اجتماعية متينة.

ثالثاً: المنهجية العلمية:

تقتضي المنهجية العلمية لكتابة البحث، مراعاة قواعد اللغة والبحث في التحقيق والتوثيق والتدقيق، بالانطلاق أساسا من نصوص القرآن الكريم واستقراء هدايات القرآن المقصودة فيه للتأسيس ابتداء، ثم القيم الاجتماعية المقصودة فيه للتواصل مع الوقوف على معانيها في كتب التفاسير العلمية الأصيلة المعتمدة في منظومة العلوم الشرعية، مع بيان وجه الدلالة وفق ما يخدم غرض البحث وفق التوجيه القرآني وهداياته.

رابعاً: منهج الدراسة:

تقتضي طبيعة الموضوع تتبع المنهج الاستقرائي لبناء مفهوم القيم الاجتماعية بالتأسيس والتأصيل لها من خلال هدايات القرآن، بالإضافة للمنهج الوصفي

الذي يقوم على قاعدتي التحليل والاستنباط لعرض نسق بناء القيم الاجتماعية من خلال هدايات القرآن ومقاصده العليا.

خامساً: محل الإضافة:

تظهر محل الإضافة العلمية بتقديم تصورات واضحة للقيم الاجتماعية من خلال الأهداف المعرفية المتعلقة بالجانب التأصيلي والتأسيسي لطبيعة القيم الاجتماعية التأسيسية والتواصلية من هدايات القرآن، وكذا الأهداف العملية بتقريب نموذج هذه القيم الاجتماعية المرعية في التوجيه القرآن وهداياته ورسم خطوطها الفاعلة في واقع المجتمع المسلم المعاصر لتحقيق الشهود الحضاري. مع خاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مفاهيم البحث بيان وتأسيس.

يعرض هذا المبحث لبيان المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها البحث؛ بتعريفها وضبط حدودها وذلك من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: مفهوم هدايات القرآن والقيم الاجتماعية

الفرع الأول: مفهوم الهدايات:

أصلها في اللغة من الهُدى، وهو الرشد والدلالة، ومن الرشد اسم الله الرشيد، وهو الذي يرشد الخلق إلى مصالحهم، فهو مرشدهم ومنه المراشد أي المقاصد والغايات. كما يطلق ويراد به عدة معان [1]: منها البيان والتعريف التي بهما تعرف الغاية تحديد الجهة والغاية.

الفرع الثاني: مفهوم القيم الاجتماعية:

لتعريف هذا المركب الوصفي يقتضي الأمر الوقوف على كل مفردة على حدا بالنحو التالي:

---

[1] انظر: مختار الصحاح "الرازي محمد بن أبي بكر (٦٦٠هـ)،(دط) ١٩٩٣،مكتبة ناشرون، لبنان، ص٢٨٩، وانظر أيضا المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي القيومي أحمد (٧٧٠هـ)، تح عبد العظيم الشناوي (دط))دت) دار المعارف، القاهرة، ص٦٣٦

أولاً: مفهوم القيم الاجتماعية باعتبار الإفراد:

أ-**مفهوم القيم**: مفردها قيمة من أصل القويم ومنه القوام، وهو العماد الذي به ينتظم الشيء ويقوم عليه، فيقال قام بالأمر إذا سار به في الوجهة السليمة، ومنه القائم أي المتكلف بالأمر القائم عليه، بمعنى الذي يسوس الأمر ويوجهه فيقال قيم المرأة أي المسؤول عنها والسائس لأمورها. كما يأتي بمعنى التقدير وإعطاء القيمة للشيء[1]، وبيان رفعته، سواد اكان مادياً أو معنوياً،

ومنه أيضاً المعنى الجامع للاعتدال والاستقامة وحسن التوجيه، وهنا تلتقي القيم بمعنى الهدايات كما تلتقي مع معنى المقاصد التي تعني الغاية والهدف في استقامة واعتدال.

ب - **مفهوم مصطلح الاجتماعية**: من الاجتماع، ويطلق على كل ما فيه تجمع ضد التفرق، وهو اسم لجماعة من الناس، ومنه المجمع بفتح (الميم وكسرها) وهو موضع الاجتماع، ومن معانيه أيضا العزم على فعل الشيء فيقال أجمعت على المسير بمعنى عزمت على المسير، كما يطلق كل ما فيه عزم واتفاق وإجماع واشتراك.[2]

ثانياً: القيم الاجتماعية باعتبار التركيب:

بناء على المعنى باعتبار الإفراد لكل كلمة فإن معنى هذا المركب الوصفي يتضمن معنى القيم الاجتماعية باعتبارها " المعايير الأخلاقية الضابطة لسلوك الأفراد في علاقاتهم ببعضهم بما يحقق مصالحهم." فتكون القيم الاجتماعية هي المعاني المرعية من هدايات القرآن، وهي مقاصد القرآن المنشودة وغاياته المرجوة من أحكامه التشريعية.

---

(١) انظر مختار الصحاح ص ٢٢٣، و المصباح المنير ص ٥٢٠.

(٢) مختار الصحاح، ص ٤٦، المصباح المنير ص ١٠٨.

المطلب الثاني: التأسيس للقيم الاجتماعية وعلاقتها بمقاصد الشريعة:

الفرع الأول: أصل نشأة القيم الاجتماعية والتأسيس لها :

أولاً: أصل نشأة القيم الاجتماعية:

نشأة القيم الاجتماعية وفطرية الاجتماع البشري:

ترجع نشأة القيم الاجتماعية لفكرة التناصر والتآلف والتحالف التي يقتضيها كل اجتماع بين بني البشر في هذا العالم؛ لما فطروا عليه من الحاجة، إلى التجمع، وما جبلوا عليه من التقارب، والألفة، والتحبب للتمكن من الاستنجاد عند الاحتياج، إلى النوال أو الدفاع بالسعي لجلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم. (١)

فنشأ النظام الاجتماعي الذي يعد ملجأ لنصرة المظلوم ومفزعا لأمن الخائف فتأسست بذلك شبكة العلاقات الاجتماعية التي تسهل سبل التقارب والتعارف والتداعي (٢) وهو المقصود الذي يرومه التشريع القرآني في هداياته كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحُجُرَات : ١٣]

ومنه وضع التشريع الإسلامي من نصوص القرآن والسنة قيما ضابطة لهذا الاجتماع لتعزيز القيام بالعمران وتحقيق مقصد الاستخلاف كما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هُود : ٦١] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ [البَقَرَة : ٣٠] من هذا كان حفظ النظام العام.

---

(١) قاعدة في المحبة، ابن تيمية أحمد عبد الحليم (٧٢٨هـ)، تحقيق محمد رشاد سالم، (دط)، (دت) ص ١٢٠

وانظر أيضا: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ابن عاشور محمد الطاهر (١٣٩٣هـ)، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦، دار سحنون، تونس، ودار السلام، القاهرة، ص.٩٨

(٢) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص٩٨

ثانياً: التأسيس للقيم الاجتماعية:

إن القيم الاجتماعية معاني مرعية ومؤصلة في الهدي القرآني من خلال تشريعاته لسنن الاجتماع البشري ، بل هي مؤسس لها ،بإلزام الامتثال لها من خلال القاعدة القرآنية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تأكد طلبها في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٠٤] ، فأضحت بذلك من خصائص الأمة التي استحقت بها الخيرية كما جاء في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾ [آل عِمْرَان : ١١٠].

وجه الدلالة: أن ما فيه الخيرية يجدر أن يفرض على الجماعة المسلمة لأنه في ذاته فضيلة[١] . وينضاف لهذه القاعدة الجامعة نصوص أخرى تشترك معها في هذا المعنى لتصير أصلاً كلياً عاماً قطعياً منها:

-**ما جاء في أصل التعاون** بين أفراد المجتمع وهي آية جامعة بالأمر بكل ما فيه بر والنهي عن كل ما فيه إثم كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ العقاب﴾ [المَائِـدَة : ٢]

وجه الدلالة: أن الآية أمرت بالتعاون على البر والتقوى ونهت عن التعاون على كل ما هو إثم وعدوان، وفائدة ذلك توفير المصالح وإظهار الاتحاد والتناصر حتى يصير ذلك خلقا للأمة [٢] والبر والإثم هما أصلان دل الاستقراء أن كل تفاصيل أسرار الشريعة ترجع لهما [٣]، فالبر كلمة جامعة لكل عمل

---

[١] انظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر ،(دط)، الدار التونسية للنسر ،تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،٥١/٤

[٢] نظر التحرير والتنوير،٨٨/٦.

(٣) حجة الله البالغة، ولي الله الدهلوي، اعتناء محمد سالم هاشم ،ط١ ،١٤١٥هـ/١٩٩٥م، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ٢٢/١.

يصلح الارتفاقات التي بني عليها نظام الإنسان، والإثم هو كل عمل يفسد هذه الارتفاقات الخاصة بذلك النظام الاجتماعي للإنسان.(١)

ومن ذلك أيضاً دعوته بالاعتصام بحبل الله وعدم التفرق،

كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عِمْرَان : ١٠٣] .

وجه الدلالة: أن الدعوة للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق هو دعوة للاجتماع ليكتسبوا باتحادهم قوة ونماء لإصلاح حالهم في دنياهم وأخراهم.(٢)

فدلت هذه الآيات على بيان أصول الهدى في التشريع العائدة إلى الأمر والنهي، فكل الشريعة أمر ونهي، والتقوى منحصرة في الامتثال والاجتناب فهي جامعة أصول التشريع. (٣)

وبناء على ما سبق الإشارة إليه، فإن مجال المأمورات التي يمكن اعتبارها وسيلة لتأسيس القيم الاجتماعية وتثبيتها لها من جانب الإيجاد، ومجال المنهيات التي يمكن اعتبارها وسيلة لحماية القيم الاجتماعية من جانب العدم مما يخرمها من سلوكات منهي عنها لما لها من أثر في الإخلال بالبعد القيمي الاجتماعي؛ وهذا توظيفا لما أقره الشاطبي من توافق بين الأصل القرآني للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع جوانب حفظ المصالح بقوله: "والحفظ لها يكون بأمرين: **أحدهما:** ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود

والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها وذلك عبارة عن مراعاتها

---

(١) حجة الله البالغة، ١/١١٢.

(٢) حجة الله البالغة ١/٢٢.

(٣) التحرير والتنوير، ٤/٣٠

من جانب العدم " [1] ثم بين التوافق بينهما في ذلك بقوله " وجامعها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "[2] ، وعلى هذا النسق سيعرض هذا البحث للقيم الاجتماعية المؤسسة للتواصل الاجتماعي ، فتكون قيم اجتماعية مرعية من جانب الإيجاد ، وقيم اجتماعية مرعية من جانب العدم وهي سلوكات منهي عنها لما لها من الإخلال بالبعد القيمي للاجتماع البشري . وهو ما يتم عرضه في المبحث الثاني.

الفرع الثاني: علاقة القيم الاجتماعية بمقاصد الشريعة:

تظهر علاقة القيم الاجتماعية بمقاصد الشريعة وكلياتها في حرص التشريع الإسلامي لوضع المعايير الضابطة للاجتماع البشري بحفظ المصالح الأساسية التي يرتكز عليها قوام المجتمع، ولا تقوم الحياة إلا بالحفاظ عليها، ومنع أي خلل يعتريها لذلك اعتبرت من الأصول الكلية التي تأسست في المنظومة الأصولية كمعيار لتقدير المصالح والمفاسد حيث جاء "أن مقصود الشرع من الخلق يكون بحفظ دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، وعليه فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول فهو مصلحة، وكل ما يفوتها فهو مفسدة ودفعها يعد مصلحة [3].

كما اعتبرت من المبادئ الحاكمة لسير عالم الأحياء لتحقيق مقصد العمران الذي يعد وسيلة لتحقيق خاصية الشهود الحضاري الذي تقوم به الأمة المسلمة كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [البَقَرَة : ١٤٣] ، و هو المعنى ذاته الذي

---

[1] الموافقات، الشاطبي أبو إسحاق ابراهيم (٧٩٠هـ)، تحقيق عبد الله دراز، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،٨/٢

[2] الموافقات، ٩/٢

[3] انظر: المستصفى من علم الأصول، الغزالي أبو حامد، تح سليمان الأشقر، دت، ١٩٩٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ص١٧٤.

أشار إليه الشاطبي إذ جعل أعظم المصالح هي الحفاظ على هذه الكليات المعتبرة في كل الملل وحمايتها. وأعظم المفاسد ما رجع إلى الإخلال بها في قوله:" المفهوم من وضع الشارع أن الطاعة أو المعصية تعظم بحسب عظم المصلحة أو المفسدة الناشئة عنها، وقد علم أن أعظم المصالح جريان الأمور الضرورية الخمسة المعتبرة في كل ملة وأن أعظم المفاسد ما يُكِرُّ (يرجع) بالإخلال عليها، والدليل على ذلك ما جاء من الوعيد على الإخلال بها"[1].

[1] انظر: الموافقات، الشاطبي، ٢/٢٢٧.

المبحث الثاني: هدايات القرآن والقيم الاجتماعية من جانبي الإيجاد والعدم.

يعرض هذا المبحث لهدايات القرآن وأثرها في تأسيس قيم التواصل الاجتماعي من جانب الإيجاد، وكذا أثرها في منع السلوكات التي تخرم أصول قيم للتواصل الاجتماعي وذلك من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: هدايات القرآن وأثرها في بناء شبكة العلاقات الاجتماعية من جانب الإيجاد.

يعرض هذه المطلب لهدايات القرآن وأثرها في تأسيس قيم التواصل الاجتماعي لبناء شبكة علاقات اجتماعية متينة من جانب الإيجاد لسلوكات اجتماعية تندرج في حماية قيم الفضيلة والحياء العام للمجتمع.

الفرع الأول: هدايات القرآن وأثرها في قيم التواصل الاجتماعي:

أولاً: هدايات القرآن والإصلاح الاجتماعي:

إن أهم مقصد قامت عليه هدايات القرآن الكريم وتواترت معانيها في استقراء نصوصه إجمالا وتفصيلا في هو تحقيق مقصد الإصلاح في نظام الحياة بشتى نواحيها لإصلاح نظام العالم، ومنه الإصلاح الاجتماعي الذي يعد الغرض الأسمى للإسلام [1]، لذلك منعت كل ما يخرمه معتبرة إياه سبيلاً منهياً عنه كما في قوله تعالى على لسان موسى في خطابه لأخيه هارون: ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأَعْرَاف : ١٤٢] . وهو المراد الذي قرره الشيخ الطاهر بن عاشور في سفره محددا إياه كمقصد عام للتشريع في قوله: "إذا نحن استقرينا موارد الشريعة الإسلامية الدالة على مقاصدها من التشريع، استبان من كليات دلائلها ومن جزئياتها المستقرأة:

أن المقصد العام من التشريع فيها هو حفظ نظام الأمة، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحه صلاح عقله

---

[1] انظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص٩٧

وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه ....، ولقد علمنا أن الشارع ما أراد من الإصلاح المنوه به مجرد صلاح العقيدة، وصلاح العمل كما قد يتوهم بل أراد منه صلاح أحوال الناس وشؤونهم الاجتماعية".[1]

ثانياً: هدايات القرآن وأثرها في قيم التواصل الاجتماعي:

هذه نماذج من السلوكات الاجتماعية ذات البعد القيمي التي يتحقق بها التواصل الاجتماعي

١-قيمة إقراء الضيف:

فمعنى الإقراء [2] هو ما كان في كفاية المتحفظ، فيعطي معنى الاستقرار والراحة مع ما يقدم له من طعام، وهذا يترجم لنا نوعا من قيم التواصل الاجتماعي من خلال الرعاية والعناية، التي يوليها صاحب الدار لضيفه، فيفسح له بأن يكون في كفالته وحفظه مع ما فيه من تواصل بطلاقة وجه وحسن استقبال، وطيب حديث بما يزيل الوحشة، وخاصة إذا كان غريبا أو عابر سبيل. وهذا ما يعرف بإكرام الضيف الذي يعتبر من عوائد العرب سابقاً , وهو من القيم التي أكد عليها الهدي القرآني، وقد في التذكير بذلك في وصف ضيف نبي الله إبراهيم (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧﴾ [الذَّارِيَات : ٢٤ - ٢٧]، ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٖ حَنِيذٖ ٦٩﴾ [هُود : ٦٩]

---

[1] انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية ابن عاشور محمد الطاهر ، (ط٢، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، دار سحنون ، تونس ودار السلام القاهرة ، ص٦٠_٦١.

[2] والإقراء: من قريت الضيف أقريه قرى، بكسر القاف مع القصر، وقراء بفتح القاف مع المد، والفاعل منه يطلق عليه القار ويطلق على كل مكان متصل بأبنية اتخذا مقرا وقرارا، فهو بفتح التاء ،فعند أهل اللغة يقال: قريت الضيف أقريه قرى بكسر القاف مقصور، وقراء بفتح القاف والمد، ويقال للطعام الذي يضيفه به قرى بكسر القاف، مقصور ويقال لفاعله قار، انظر: المصباح المنير الفيومي ص٥٠١

ومن ذلك أيضاً ماورد من نصوص السنة التي اعتبرت إكرام الضيف من الإيمان كما جاء في قوله ﷺ "مَنْ كَان يُؤمِن بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِم ضَيفَه جَائِزَتَه" قَالوا :وما جَائِزَتُهُ؟ يَا رسول الله، قال :"يَومُهُ ولَيلَتُهُ، والضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلك فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيه، وفي رواية: لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَ أَخِيهِ حَتَّى يؤْثِمَهُ، قالوا: "يَا رَسول الله، وَكَيفَ يُؤْثِمُهُ؟ قال: يُقِيمُ عِندَهُ ولاَ شَيءَ لَهُ يُقرِيهِ بِهِ". (١) ويعتبر إقراء الضيف وإكرامه من القيم الاجتماعية التي تزيد في متانة شبكة العلاقات الاجتماعية إذ تعزز قيمة التواصل الاجتماعي.

٢-**قيمة قضاء حاجات الناس:** وهي قيمة اجتماعية كبيرة تسع كل أفعال الخير والبر، بما يحقق كل مصالح الناس كما دل عليه الأصل الجامع لكلمة البر في قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ﴾ [المَائِـدَة : ٢] .

وجه الدلالة: إن الآية أصل في الدعوة إلى التعاون على كل فيه فائدة تحقيقا للمصالح، وإظهارا للاتحاد والتناصر(٢) قال ابن تيمية "فهذه الآية لم تترك خيرا إلا جمعته، ولا شرا إلا نفته"(٣)وهذا تأكيد للأصل القرآني في فعل الخير كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحَج : ٧٧] ﴿وافْعَلُوا الخَيْرَ﴾ وأوجه الخير واسعه ومتنوعة الطرق والوسائل التي تحقق التواصل الاجتماعي وتمتن شبكة العلاقات الاجتماعية.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرَا يَرَهُۥ ۝٧

وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزَّلْزَلَة :۝٧ - ۝٨] وذكر أن هذه الآية تعد

---

(١) الصحيح ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن، (٢٦١هـ)، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت١٩٩٦/٤ كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها رقم ١٤-٤٨، ١٣٥٢/٣

(٢) انظر: التحرير والتنوير ،٨٧/٦.

(٣) دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، ابن تيمية، تح محمد السيد الجلنيد ،(دط) (دت)، مؤسسة علوم القرآن دمشق ، بيروت ،٣٧١/٣

"من جوامع الكلم، وقد وصفها النبي ﷺ بالجامعة الفاذة"[١]

ومن نصوص السنة ما جاء في فضل النفقة، والسعي على الأرملة والمسكين، بمقام أجر المجاهد في سبيل الله وقائم الليل وصائم النهار كما جاء عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهِد فِي سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار» [٢]

وكذا ما جاء في السنة النبوية من نصوص كثيرة ترعي صلة الأخوة التي تعبر عن التواصل الاجتماعي. ومن ذلك قوله ﷺ «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» [٣]وقوله أيضاً ﷺ «من نفس عن مؤمن كربة من كربه، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر على مؤمن عورته، ستر الله عورته، ومن فرج عن مؤمن كربة، فرج الله عنه كربته». [٤]

وكذا قوله ﷺ «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» [٥]

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٤٩٥

(٢)صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، رقم ٥٣٥٣، دار ابن رجب، المنصورة، مصر ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤، ص١١٢٦.

(٣) أخرجه البخاري، باب لا يظلم المسلم المسلم، رقم ٢٤٤٢، الصحيح، ، ط١ ،١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة، ١٢٨/٣، صحيح مسلم، باب تحريم الظلم،رقم ٥٨-٢٥٨٠،

(٤) الطبراني أبو القاسم (٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط تح طارق بن عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم، دط ،دت ، دار الحرمين، القاهرة،١٢/٦

(٥) اخرجه مسلم، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم ٢٦٩٩، الصحيح ٢٠/١٣٥٢،٤/١٥،٣-٤٨

والكربة: هي الشدة العظيمة التي توقع صاحبها في الكرب، وتنفيسها أن يخفف عنه منها، مأخوذ من تنفيس الخناق، كأنه يرخى له الخناق حتى يأخذ نفسا، والتفريج أعظم من ذلك، وهو أن يزيل عنه الكربة، فتفرج عنه كربته، ويزول همه وغمه، فجزاء التنفيس التنفيس، وجزاء التفريج التفريج. (١)

فهذه الفضائل من الأعمال تستوعب كثيرا من الفئات الاجتماعية بالوقوف على قضاء حوائج الناس وتفريج كربهم وإغناء فقيرهم، والوقوف على رعاية الأيتام والأرامل مراعاة لأصل الرحمة المقرر في هدايات القرآن الكريم كما جاء في قوله تعالى في هذه الآيات:

-﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأَنْعَام : ٥٤]

-﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الأَنْعَام : ١٢]

-﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البَقَرَة : ١٩٥]

-﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأَنبِيَاء : ١٠٧]

-﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأَعْرَاف : ١٥٦] وغيرها من الآيات التي تؤصل لمقصد الرحمة.

٣-**قيمة صلة الأرحام**: إن صلة الأرحام في البناء اللغوي جامعة للقرابة ووصلهم من جهة الولاء (٢) ورعاية القرابة شاملة لكل أنواع العلاقات بما فيها بر الوالدين والإحسان إليهما.والرحم تحمل قيمة الوصل والتواصل التي تنصب على المعاني المترتبة عن القرابة والنسب وعلاقة الوالدية، فتسمى القرابة

(١) زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم تح شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، ط٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م: مؤسسة الرسالة، بيروت،٢/٢٨٦

(٢) المصباح المنير ص٢٢٣

رحماً لعظم أثرها في التراحم و"الرحم التي توصل وتقطع وتبر إنما هي معنى من المعاني، ليست بجسم ،وإنما هي قرابة ونسب، تجمعه رحم والدة ويتصل بعضه ببعض، فسمي ذلك الاتصال رحما" (١)

وحقيقة صلة الرحم هي كل المعاني القيمية التي توطد العلاقة بين الأقارب، على حسب حال الواصل، والموصول فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة، وتارة بالسلام(٢) وغير ذلك القيم الاجتماعية التي تزيد في ترابط وشائح المجتمع ، وقد جاء النهي في قطعها شديدا لما فيها من أثر على قيمة التواصل الاجتماعي فقد اعتبر قطعها في هدايات القرآن من الإفساد في الأرض وهذا لأثر ها في تفكيك شبكة العلاقات الاجتماعية كما جاء في قوله تعالى : ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣﴾ [مُحَمَّد : ٢٢ - ٢٣]

ومن ذلك أيضاً ما ورد في نصوص السنة النبوية من تشنيع في قطع الرحم وعدم وصلها بخرم شبكة العلاقات الاجتماعية في قوله ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله» (٣)

وكذا قوله «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك» (٤)

"والمعنى لا يتأتى منه القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل، وحسن استعارة، على عادة العرب في استعمال ذلك والمراد تعظيم شأنها، وفضيلة واصليها وعظيم إثم قاطعيها بعقوقهم لهذا سمي العقوق قطعاً

---

(١) النووي (٦٧٦هـ)، شرح مسلم ،١١٢/١٦

(٢) النووي (٦٧٦هـ)، شرح مسلم ،١١٢/١٦

(٣) رواه مسلم، كتاب (الأدب) البر والصلة ، باب صلة الرحم وتحريم قطعها ، رقم ٢٥٥٥، الصحيح ١٩٨١/٤

(٤) رواه مسلم، كتاب (الأدب) البر والصلة ، باب صلة الرحم وتحريم قطعها ، رقم٢٥٥٤، الصحيح ،١٩٨١/٤.

والعق الشق كأنه قطع ذلك السبب المتصل. "[١]

ومن ذلك في ما جاء في فضل صلة الرحم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه». [٢]

فكل هذه الصور تعد من القيم الاجتماعية التي تقوم على أساس التراحم في كل جوانب حياة المسلمين، ما يدعم قيم التواصل الاجتماعي.

الفرع الثاني: السلوكات الاجتماعية المرعية لحماية قيمة الحياء العام:

أولاً: حقيقة الحياء العام:

إن الحياء[٣]خلق يُؤْثر به صاحبه الانزواء بعيدا عن أي دنس، فتراه متورعا عن ارتكاب كل ما يوجب اللوم ، وقافا عند حدود الله لا يتجاوزوه .

قال ابن تيمية "والحياء مشتق من الحياة، فإن القلب الحي يكون صاحبه حيا فيه حياء يمنعه عن القبائح فإن حياة القلب هي المانعة من القبائح التي تفسد القلب "[٤] والحياء خلق جامع لكل القيم الاجتماعية؛ لأنه مرتبط بالقيم الإنسانية، فهو يحقق أرقى أنواع التواصل كما ذكر ابن القيم أن خلق الحياء خص الله به الإنسان دون غيره من الحيوان، واعتبره من أفضل الأخلاق وأجلها، وأعظمها قدرا[٥] وقد جعله معياراً للإيمان إذ عد من شعب الإيمان «الحياء شعبة من شعب الإيمان»[٦]

كما عد من الإيمان ذاته لذلك يعتبر أصل الخير كله

---

(١) النووي (٦٧٦هـ)، شرح مسلم ،١١٢/١٦

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأدب، باب من بسط له الرزق بصلة الرحم، رقم ٥٩٨٥، ص١٢٣٥.

(٣) من حيي على وزن فعيل، ومنه استحيا وهو الانقباض والانزواء، ومعناه انقباض النفس عن ارتكاب ما يوجب اللوم، العرض المصباح المنير، ص١٦٠

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية، (دط)، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة ١١٠/١٠

(٥) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والسعادة،ابن قيم الجوزية، تحقيق الأستاذين: سيد عمران، وعلي محمد علي،(دط)، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، دار الحديث، القاهرة ،٣١٨/١_٣١٩

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان ..،رقم ١٥١_٥٧/٣٥ ص٧٩.

كما جاء في حديث عمران بن حصين عن النبي «الحياء خير كله» قال أو قال «الحياء كله خير » [١]

والحياء العام ما كان مرتبطاً أثره بالصالح العام للمجتمع وقد ذكر ابن القيم مجموعة من القيم الاجتماعية التي تترتب عنه كما جاء في حديثه عن آثار اعتبار الحياء في حياة الناس: "ولولا هذا الخلق لم يقر الضيف، ويوف بالوعد، ولم يؤد أمانة ولم يقض لأحد حاجة، ولا تحرى الرجل الجميلَ فآثره، والقبيح فتجنبه ولا ستر له عورة، ولا امتنع من فاحشة.... ولم يرع لمخلوق حقا، ولم يصل له رحماً ولا بر له والداً .." [٢]

وقد وقف البحث على تفصيل بعض القيم المذكورة هنا لما لها من أثر على التواصل الاجتماعي.

المطلب الثاني: هدايات القرآن وأثرها في حفظ شبكة العلاقات الاجتماعية من جانب العدم

الفرع الأول: السلوكات الاجتماعية الممنوعة حماية لقيم الفضيلة والتواصل الاجتماعي. إن الفضيلة ملاك صلاح المجتمع وطهارته؛ لأنها أساس كل خير، وهي خلاف النقيصة [٣]

فالهدي القرآني في حياطته للجانب الاجتماعي بالاهتمام والرعاية وضع قواعد أخلاقية لبناء شبكة علاقات متينة مبنية على رعاية الفضيلة ،وسلامة علاقة التواصل الاجتماعي قولاً أو وفعلاً ؛ فجاء نهي التشريع القرآني عن سيء الأخلاق لما فيها من أثر على شبكة التواصل الاجتماعي ، وهي مجموع المنهيات التي تضمنتها الآية الكريمة متمثلة في الهمز واللمز والنبز والسخرية كما

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان ..،رقم ١٥٦_٠٠٠_٦١، ص٧٩.

(٢) مفتاح دار السعادة، ص ٣١٩

(٣) انظر: التحرير والتنوير ،١٤/ ٢٥٧وما بعدها.

ورد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [سورة الحجرات: ١١]

وجه الدلالة:

جاءت هذه الآيات الواقعة عقب هذا النداء وتضمنت صنفاً مهماً من المنهيات الخاصة بمعاملة المسلمين بعضهم لبعض مما فشا التساهل فيها في الناس من عهد الجاهلية، من إساءة الأقوال وهي السخرية واللمز والنبز. [1]

والمقصد من النهي عن هذه الأخلاق ما فيها من هدم لشبكة العلاقات الاجتماعية وخرمه، وهتك لمقصد التآلف والاجتماع للصف المسلم وهذا بسط لها ببيان مفهومها مع التركيز على أثرها.

أولاً: النهي عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب:

نهى التشريع القرآني في سورة الحجرات عن هذه المجموعة من الأخلاق بشكل متتابع متسلسل لما لها من علاقة بينها، وترابط من حيث الوسيلة والأثر.

فكانت السخرية منهيا عنها لأنها تحمل كل معاني الهزء [2] والاستهزاء على وجه الضحك من الغير[3]، وجاءت كلمة قوم التي نسب لها نكرة لتفيد الشياع [4] فيكون ذلك أصلا للنهي عن هذا الخلق المشين دون تحديد للفئة التي صدر منها ذلك، وعبر بالقوم هنا للإشارة إلى اتساع الفكرة وانتشارها، حتى صارت متعدية لمستوى الأفراد إلى مستوى الجماعات،و الفرد إلى المجتمع وهذا لما فيه من خطورة على زعزعة النظام العلاقات الاجتماعية لتسفل خلق القوم فجاء النهي فيها واضحاً صريحاً.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ،٣٠/٤٩٠ وما بعدا

(٢) المصباح المنير ، ص٢٦٩، و٦٣٨

(٣) مختار الصحاح ،الرازي ، ١٢٢

(٤) المصدر نفسه .

وللمبالغة في النهي عن السخرية جاءت جملة ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ بذكر حالة يكثر وجودها عند ذلك بأن تكون سخرية الساخر أفظع من الساخر، ولأنه يثير انفعال الحياء في نفس الساخر بينه وبين نفسه. (١)

٢- النهي الهمز اللمز: واللمز أصله الإشارة بالعين وغيره، هو تعييب الغير بالإشارة وغيرها (٢).والهمز من التحامل على الانسان وذكره بما يسوءه في غيبته (٣).

وقد ذكر ابن عاشور اضطراب عبارة اللغويين والمفسرين في تعريفهم للمز مشيرا إلى المعنى المنخول منها: بأنه ذكر العيوب مواجهة فهو نوع من المباشرة بالمكروه. فإن كان بحق فهو وقاحة واعتداء، وإن كان باطلا فهو وقاحة وكذب، وهي من الأخلاق المذمومة التي كانت منتشرة في الجاهلية وشائعة بين العرب، ويحرص المنهاج القرآني في هداياته على صفاء العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم وحذر من هذه التصرفات المذمومة لما فيها من تعييب الغير بالإشارة وغيرها كما جاء ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحُجُرَات : ١١] ، مشيراً إلى أن اللامز يعود لمزه على نفسه دلالة على معنى الاخوة لذلك شنع فعلها كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهُمَزَة : ١] ، وهو يعني نفراً من المشركين كان دأبهم لمز رسول الله ﷺ، كما يكون ويكون بحالة بين الإشارة والكلام، يحس المواجه أن فيه ذما ووعيدا بتحريك الشفتين بكلام خفي أو يفعل تصرفات تنبئ عن الانتقاص، وهو غير النبز وغير الغيبة (٤).

٤- النهي عن التنابز: من النبز بسكون الباء، وتحريكها ومنه: التنابز وهو اللقب السوء أي دعوة بعضهم بعضا بالألقاب(٥). وقد جاء النهي عنها كما

---

(١) انظر : التحرير والتنوير ،٢٤٦/٢٦.
(٢) انظر : المصباح المنير ص٥٥٨.
(٣) انظر : المصدر السابق ص ٦٤٠.
(٤) انظر: التحرير والتنوير،٤٩٠/٣٠ وما بعدها.
(٥) انظر: المصباح المنير ص ٥٩٠.

في قوله تعالى ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾ وهو التداعي بالألقاب لغرض التعيير، ويعد تعييراً بالأوصاف المنهي عنها ، وهو لقب السوء الذي يشعر صاحبه بالخسة.ثم ذيلت الآية كل هذه الأفعال بقوله تعالى: ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحُجُرَات : ١١] بإدخالها في دائرة المنهيات ووسمها بأنها خروج ومروق من الدين ؛لما فيها من الاعتداء على قيم التواصل وعلاقات الاخوة ، وهو فعل مذموم يستلزم التوبة لأن الإيمان لا يتناسب مع الفسوق، كما أثبت الحديث الشريف الصفات التي يلزم المسلم التحلي بها وهو سلامة التواصل بينه وبين إخوانه فيما ثبت عنه ﷺ بقوله :"المسلم من سلم المسلمون من يده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم " (١).

ثانياً: النهي عن سوء الظن والتجسس والغيبة حفظا لقيمة التواصل الاجتماعي.:

١-**النهي سوء الظن:** من الأخلاق المذمومة والسلوكات المنافية للتواصل الاجتماعي سوء الظن الذي يقوم على التهمة(٢)

٢-**النهي عن التجسس:** (٣). ومن الأخلاق المذمومة أيضا التجسس الذي يقوم على تتبع خفايا الأخبار وبواطن الأمور وهو النهي عن التتبع لعورات الغير وهو تأديب عظيم يبطل ما كان" فاشياً في الجاهلية من الظنون السيئة والتهم الباطلة وأن الظنون السيئة تنشأ

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الإيمان عن رسول الله، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم الحديث ٢٢٧٦، درجة الحديث قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح و قال الألباني: حسن صحيح السنن، ص٥٩٢، أحمد في مسنده برقم ٦٩٠٦(٤٣٤/٢)ورقم ٨٨٦٥(٧٨/٣),وسنن النسائي، كتاب قطع السارق، باب صفة المؤمن رقم٤٩٩٥،السنن ،ص٧٥٩.

(٢) الظن: خلاف اليقين ومنه الظنة وهي التهمة .انظر: المصباح المنير ص٣٨٦-٣٨٧.

(٣) من جس الأخبار وتجسسها، وهو تتبع أخبار متخفية ، والفحص عن بواطن الأمور ومنه الجاسوس انظر: المصباح المنير ص١٠١

عنها الغيرة المفرطة والمكائد" [1]

وقد جاء النهي عنها في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ﴾ [الحُجُرَات : ١٢] ففي قوله تعالى :﴿ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ جاء الأمر باجتناب كثير من أمور الظن بالابتعاد عنه باجتناب وسائله مع التبت فيه وعدم تصديق ما شكك فيه، وهذا نوع من مقاومة الظنون السيئة وهي الغالبة على تصورات الانسان فلا يترك لها مجالا للتوسع والتشكيك، لذلك جاء النهي بعد سوء الظن النهي عن التجسس باعتباره المرحلة الثانية بعد توسع سوء الظن وزيادة الشكوك لفتح باب التجسس وتتبع العورات. [2]

ووجه النهي عن ذلك من سوء الأخلاق أنه طريق للعداوة ونشر الحقد عنه أنه ضرب من الكيد والتطلع على العورات. ما يفتح مجالا للعداوات وهذا ثلم للأخوة الإسلامية[3] التي ينخرم بهتكها قيم التواصل الاجتماعي

٣- **النهي عن الغيبة** نهى التشريع القرآني عن ذكر الانسان بما يكرهه من أوصاف في غيبته، إن كانت حقيقة ،أما إن كانت على وجه باطل فهي البهتان بعينه [4]

وقد ورد النهي عن الغيبة ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحُجُرَات : ١٢] لما فيها من إساءة لصاحبها ولوكان ما فيه حقاً، أما إن كان باطلاً فهو ما يثلم به العرض. وقد نهت الآيات عن الغيبة وشنعت فعلها حيث صورتها بحال من يأكل لحم أخيه ميتاً، بصيغة استفهامية كما جاء ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ وهذا تقرير أن ذلك غير محبذ ولذلك أجيب الاستفهام بقوله:﴿فكرهتموه﴾. فكان التمثيل لقصد استفظاع الممثل، وتشويهه لإفادة الإغلاظ على المغتابين؛ لأن الغيبة

---

[1] انظر: التحرير والتنوير ٢٥٤/٢٦.

[2] انظر: التحرير والتنوير ٢٥٤/٢٦.

[3] انظر: المصدر نفسه

[4] الغيبة من اغتابه اغتيابا، وهو ذكر الانسان بما يكره من العيوب وهو حق، وإن كان باطلا فهو البهت انظر: المصباح المنير، الفيومي ،ص٤٥٨.

متفشية في الناس وخاصة في أيام الجاهلية [١]، ولأن الإسلام يحذر منها ومن فعلها، ولتشنيع الأمر أكثر مثل الغيبة بأكل الانسان لحم أخيه، وهذا أمر فظيع لا تقبله النفوس ومما زاده فظاعة وشناعة أنه ميت. قال ابن القيم في تفسيره القيمُ :"هذا من أحسن القياس التمثيلي، فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه في حال، ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته، كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روح عنه بالموت، ولما كان المغتاب عاجزا عن دفعه عن نفسه بكونه غائبا عن مجلس ذمه كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه" [٢]

٤-المقصد من النهي وأثرها في شبكة العلاقات الاجتماعية:

إن المقصود من النهي عن هذه السلوكات التي تخرم تماسك المجتمع وتهدم قيم التواصل والتناصر قال ابن القيم: "ولما كان مقتضى الأخوة التواصل والتراحم والتواصل والتناصر، فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها كمن الذم والعيب والطعن: كان ذلك نظير تقطيع لحم أخيه، والأخوة تقتضي حفظه وصيانته والذب عنه."[٣]

نهى التشريع القرآني عن السخرية وكل صور الاستهزاء بذكر العيوب على وجه من الاستحقار بقصد لفت النظر إلى المعايب للضحك والنظر إليه بمنقصة في شكله أو مظهره أو خلقته.

شدد التشريع القرآني في أمر الغيبة فدل النهي المشدد على تحريم الغيبة بتشبيهها بأكل لحم الأخ ميتاً وذلك أنها "تشتمل على مفسدة ضعف في أخوة الإسلام. وقد تبلغ الذي اغتيب فتقدح في نفسه عداوة لمن اغتابه فينثلم

---

[١] انظر :لتحرير والتنوير، ٢٥٤/٢٦.

[٢] التفسير القيم ،ابن القيم الجوزية ، تح محمد حامد الفقي ،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،ص٢٤١-٢٤٢

[٣] التفسير القيم ،ص ٢٤٢

بناء الأخوة، ولأن فيها الاشتغال بأحوال الناس وذلك يلهي الإنسان عن الاشتغال بالمهم النافع له وترك ما لا يعنيه"[١]. فدل النهي كل هذه المعاملات السيئة التي تنشا هنها الخصومة التي تفرق بين أفراد المجتمع الواحد وتهدم أصل الاخوة المعتبر وهذا لعظم المفاسد التي تترتب عنها في الحال والمآل من تشتت الصف وتوسع الخلاف.

الفرع الثاني: السلوكات الاجتماعية الممنوعة حماية الحياء العام:

أولا: النهي عن المجاهرة بالمعاصي:

وهي إعلان المعاصي للملأ والجهر بها وصفاً أو حديثاً عنها، بأن يكشف الإنسان ستر الله عنه بذكر ما اقترفه من آثام وذنوب فهو نوع من الاستهتار لما فيها من هتك ستر الحياء؛ لأن النفوس إذا سمعت مثل ذلك تحركت وتشهت وتمنت فالإنسان بطبيعته متى سمع أو رأى تحرك مخياله فكان ذلك داعيا إلى الفعل ذاته أو التشبه به لأنها دواعي مركوزة في النفوس ولهذا نُهي عنها منعا لإشاعة الفاحشة[٢]، ومنعا لخدش الحياء العام .

وقد نُهي عن المجاهرة؛ لأنها ذريعة لشيوعها وتهوينها في نفوس السامعين لذلك استحق من يجاهر العقوبة في ذلك كما ورد في الحديث قوله " أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تَنْتَهُوا عَنْ حُدُودِ الله مَنْ أَصَابَ مِنْ هذِهِ الْقَاذُورَاتِ شَيْئاً، فَلَيَسْتَتِرِ بِسِتْرِ الله فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِ لَنَا صَفْحَتَهُ، نُقِمْ عَلَيْهِ كِتَابَ الله" [٣] وهذا نهي عن التسبب إلى المفاسد.[٤]

---

(١) التحرير والتنوير ،٢٥٦/٢٦

(٢) انظر: ابن القيم ، الإعلام ١٢٦/٣.

(٣) رواه مالك بن أنس وانفرد به كتاب الحدود، باب من جاء واعترف على نفسه، رقم الحديث ١٣، الموطأ، ط٢ ،١٤١٤هـ ١٩٩٣م،دار الجيل بيروت ،ودار الآفاق الجديدة ، المغرب، ص٧٢٠

(٤) قواعد الأحكام، دارا لبيان العربي ١٠٥/١

وشرع للمسلم حين يطلع على ذنب أخيه المسلم أن يستره ولا يحدث بها حفظاً لقيمة الحياء العام ومنعاً لخدشه لما ورد من أحاديث تثمن هذا العمل في الستر منها حماية للمجتمع.

- ومنها قوله ﷺ: " المسلم أخو المسلمِ لا يَظلمُه ولا يُسلِمُه، ومَن كان في حاجةِ أخيهِ كان الله في حاجتهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسلمٍ كُربَةً فرَّجَ الله عنهُ كُربةً من كُرباتِ يومِ القيام ومَن سَتَرَ مُسلِماً سَترَهُ اللهُ يومَ القيامة" (١)

_ وما ثبت أيضا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لاَ يَسْتُرُ اللهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا، إِلاَّ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٢).

وجه الدلالة: دلت هذه النصوص على قيمة الستر في المجتمع؛

لذلك كان من أعظم القواعد التربوية في الإسلام أن يحفظ الإنسان لسانه عن الخوض في كل حديث فيه فحش أو قول بذيء،

ولو كان واقعاً وحقيقة حتى لا يعتاد على مثل ذلك، ولا يهونه في نفسه ولا في نفس السامع،

لما ورد أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ قَالَ:

" مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ" (٣). فقول الخير عام لكل قول طيب يراعي مصلحة المجتمع ويحفظ الحياء العام من الخدش.

---

(١) رواه البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث ٢٤٤٢ ، الصحيح ،ص٣٩٤، ومسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم ،رقم ٦٥٧٨الحديث ،الصحيح ،ص١١٢٩

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، رقم الحديث ٦٠٧٠ ، الصحيح ،ص١٠٥٩ ومسلم ، كتاب البر والصلة والأدب.، باب بشارة من ستر الله عليه في الدنيا ، رقم الحديث ٦٥٩٤، الصحيح ،ص١١٣٢

(٣)رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم الحديث ٦٠١٨الصحيح ص١٠٥٢، ومسلم كتاب الإيمان، باب الحثّ على لزوم الصمت إلا عن الخير، رقم الحديث ١٧٣، الصحيح، ص٤١.

ثانياً: منع شيوع[١] الفاحشة [٢]

والفحشاء هي السوء من القول والفعل وهي من عمل الشيطان كما صرح بذلك القرآن في قوله تعالى في سُورَةِ البَقَرَةِ: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البَقَرَةِ : ١٦٩] ، وقد نهى الله عن الفحشاء باعتبارها من أصول المفاسد كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النَّحل : ٩٠]

"فهذه الآية جمعت أصول الشريعة في الأمر بثلاثة، والنهي عن ثلاثة، بل في الأمر بشيئين وتكملة، والنهي عن شيئين وتكملة." [٣]

فالفحشاء اسم جامع لكل ما تستقبحه النفوس [٤] لما له من آثار تضر بالأفراد كما تضر بالمجتمعات وتخل بقيمها وأخلاقها.

كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النُّور : ١٩]

ومعنى أنْ ﴿ تَشِيعَ الفاحِشَةُ﴾ شيوع خبرها وذيوعها ، وتوسع الحديث عنها واشتهار التحدث بها ، وهو مما حذرت منه النصوص .

ولشيوع أخبار الفواحش بين المؤمنين صدقاً أو كذباً فيه فساد كبير "فإن مما يزع الناس عن المفاسد تهيبهم وقوعها وتجهمهم وكراهتهم سوء سمعتها وذلك مما يصرف تفكيرهم عن تذكرها بله الإقدام عليها رويداً رويداً حتى تنسى وتنمحي صورها من النفوس"[٥] ؛لأن انتشار الحديث في المجتمع بوقوع شيء من الفواحش فإن ذلك سبيل لهوانها في النفوس، بعد أن خف وقع قربانها

---

(١) والشيوع من شيع، فيقال شاع الخبر إذا ذاع وأشاعه أذاعه .انظر: الصحاح ،ص١٤٨.

(٢) "من الفحش هو كل شيء تجاوز الحد" الصحاح، ص٢٠٦.

(٣) التحرير والتنوير ٢٥٨/١٤

(٤) التحرير والتنوير ٢٥٨/١٤.

(٥) التحرير والتنوير ١٨٣/١٥.

فتصير الخواطر تتذكرها ويخف وقعها على الأسماع، "فلا تلبث النفوس الخبيثة أن تقدم على اقترافها، وبمقدار تكرر وقوعها وتكرر الحديث عنها تصير متداولة. هذا إلى ما في إشاعة الفاحشة من لحاق الأذى والضر بالناس ضرا متفاوت المقدار على تفاوت الأخبار في الصدق والكذب"(١).

وأوجب الستر أيضا في العلاقات الزوجية واعتبر من يتحدث بسر الفراش الزوجي هتكا للستر، لما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا" (٢).

ومنعاً لشيوع الفاحشة منع التشريع الإسلامي الحديث بسر الفراش الزوجي لما فيه من خدش للحياء العام وطريقا لشيوع الفاحشة وسهولة قربانها.

وقد علل ابن القيم ذلك المنع بقوله: " أنه حرم الشياع، وهو المفاخرة بالجماع لأنه ذريعة إلى تحريك النفوس والتشبه، وقد لا يكون عند الرجل من يغنيه من الحلال، فيتخطى إلى الحرام، ومن هذا كان المجاهرين خارجين من عافية الله، وهم المتحدثون بما فعلوه من المعاصي، فإن السامع تتحرك نفسه إلى التشبه، وفي ذلك من الفساد المنتشر ما لا يعلمه إلا الله " (٣).

(١) التحرير والتنوير ،١٨٣/١٨.

(٢) رواه مسلم كتاب النكاح، باب تحريم إفشاء سر المرأة، رقم الحديث٣٥٤٢ ،الصحيح ،ص٦٠٩.

(٣) ابن القيم، الإعلام ١٢٦/٣.

خاتمة

النتائج: وخاتمة ما يمكن قوله بعد هذا العرض ذكر أهم النتائج مع بعض التوصيات التي يراها البحث جديرة بالذكر:

١-إن توجيه العلاقات الاجتماعية في ظل هدايات القرآن وأهدافه العامة ومقاصده العليا تضبط شبكة العلاقات الاجتماعية؛ لتحقيق الاستخلاف والعمران.

٢-أهمية اعتبار القيم الاجتماعية وهدايات القرآن في سير الحياة الاجتماعية في نصوص القرآن فهماً وتنزيلاً.

٣-أثر غياب القيم الاجتماعية والابتعاد عن هدايات القرآن في ظهور الأمراض الاجتماعية التي تنخر في جذور التواصل الاجتماعي.

ومن التوصيات:

الدعوة لحماية قيم الفضيلة ومنع خدش الحياء العام في واقع المجتمعات الإسلامية عامة وفي مواقع التواصل الاجتماعي خاصة بوضع قواعد أخلاقية ضابطة للتواصل حفظاً للأعراض.

قائمة المصادر والمراجع المرتبة ألفبائياً

١. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ابن عاشور محمد الطاهر (١٣٩٣هـ)، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦، دار سحنون تونس، ودار السلام ، القاهرة .

٢. –تنظيم الإسلام للمجتمع أبو وزهرة ، دت ، دط ، دار الفكر العربي .

٣. –التفسير القيم، ابن قيم الجوزية، تح محمد حامد الفقي ،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .